Journal of Anbar University for Law and Political Sciences
مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية
P. ISSN: 2706-5804 E.ISSN: 2075-2024
Volume 13- Issue Special - novem 2023 المجلد ١٣- العدد خاص – نوفمبر ٢٠٢٣

Intellectual ingredients for building the identity of the modern and contemporary Iraqi state

[1] d.r. Fadel Jawad Hamid
[1] University of kufa /College of poltical scienes
1: Email:
2: Email

Abstract:

The issue of state identity occupies great importance at the level of studies and research in modern and contemporary political thought, because this topic has a pivotal and essential role in diagnosing and studying the intellectual (cultural) elements on the basis of which the process of building and shaping the state's identity takes place, noting that the process of building and shaping the identity of any state One of the countries of the world must be based on intellectual elements that include objective cultural and civilizational data that constitute the intellectual, cultural and civilizational framework under which the identity of this or that country is formed. From here, one of the most prominent distinctions between the countries of the world is the intellectual elements according to which the process of building and shaping identity takes place in this or that country.

There is no doubt that some countries of the world possess the elements and data (intellectual, cultural and civilizational), which makes them at the forefront of countries in the process of building and forming a solid, deep and well-established identity for the state, and our dear country Iraq does not deviate from this vision and from this perspective because of what it possesses of civilizational, cultural and intellectual heritage Deep and significant, in addition to the great role and impact of the teachings of the tolerant Islamic Sharia, which added a great human, civilizational, cultural, intellectual and moral dimension associated with the medieval, modern and contemporary history of Iraq, just as the cultural diversity (religious, sectarian, ethnic, etc.) Modern and contemporary Iraq, as the issue of spreading the culture of tolerance and rapprochement among all religions, sects, sects, races, cultures and orientations is highlighted here to form one of the most prominent intellectual and cultural ingredients for building the identity of the modern and contemporary Iraqi state, as well as the civilizational extension and the role of the Islamic religion and cultural diversity in shaping this identity.

From here comes the researcher's attempt to study and discuss these main axes, which have a clear and tangible impact on building and shaping the identity of the modern and contemporary Iraqi state, in a research entitled (Intellectual Elements for Building the Identity of the Modern and Contemporary Iraqi State), which will include two main topics, the first came under the title (The Role of The cultural heritage and the Islamic religion in shaping the identity of the modern and contemporary Iraqi state).

DOI

Submitted: 15/10/2023
Accepted: 09/10/2023
Published: 01/10/2023

Keywords:
state identity
cultural heritage
The Islamic Religion
cultural diversity
The principle of toleranceci vilization tide
coexistence
mutual respect .

©Authors, 2023, College of Law University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقومات الفكرية لبناء هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة

[١] أ.م.د. فاضل جواد حميد الهلالي
[١] كلية العلوم السياسية / جامعة الكوفة

الملخص:

يشغل موضوع هوية الدولة أهمية كبيرة على مستوى الدراسات والبحوث في الفكر السياسي الحديث والمعاصر، لما لهذا الموضوع من دور محوري وأساسي في تشخيص ودراسة المقومات الفكرية (الثقافية) التي على أساسها تتم عملية بناء وتشكيل هوية الدولة، وذلك بلحاظ ان عملية بناء وتشكيل الهوية لأي دولة من دول العالم لابد لها ان ترتكز على مقومات فكرية تتضمن معطيات ثقافية وحضارية موضوعية تشكل بمجملها الاطار الفكري والثقافي والحضاري الذي تتشكل بموجبه الهوية لهذه الدولة أم تلك .

من هنا فان من أبرز التمايزات بين دول العالم هي المقومات الفكرية والتي تتم بموجبها عملية بناء وتشكيل الهوية في هذه الدولة أم تلك، ولا تختلف دول العالم في أمر ما بقدر اختلافها وتمايزها عن بعضها البعض في هذا المجال.

ولاشك في ان بعض دول العالم تمتلك من المقومات والمعطيات (الفكرية والثقافية والحضارية)، ما يجعلها في صدارة الدول في عملية بناء وتشكيل هوية متينة وراسخة وعميقة للدولة، ولا يخرج بلدنا العزيز العراق من هذه الرؤية ومن هذا المنظور، لما يمتلكه من ارث حضاري وثقافي وفكري عميق وكبير، فضلاً عن الدور والأثر الكبير لتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء والتي أضافت بعداً انسانياً وحضارياً وثقافياً وفكرياً واخلاقياً كبيراً اقترن بتاريخ العراق الوسيط والحديث والمعاصر، كما ان التنوع الثقافي (الديني والطائفي والمذهبي والعرقي ألخ) في العراق أسهم بدوره والى حد بعيد ومتميز في تشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، أذ تبرز هنا مسألة نشر ثقافة التسامح والتقارب بين كافة الأديان والمذاهب والطوائف والأعراق والثقافات والتوجهات لتشكل احد ابرز المقومات الفكرية والثقافية لبناء هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، فضلاً عن الامتداد الحضاري ودور الدين الإسلامي والتنوع الثقافي في تشكيل هذه الهوية.

من هنا تأتي محاولة الباحث لدراسة وبحث هذه المحاور الرئيسية والتي لها الأثر الواضح والملموس في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، وذلك في بحث جاء بعنوان (المقومات الفكرية لبناء هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة)، والذي سيتضمن مبحثين رئيسيين جاء الأول تحت عنوان (دور الأرث الحضاري والدين الإسلامي في بناء

وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة).

وجاء الثاني بعنوان (دور التنوع الثقافي واعتماد مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة).

الكلمات المفتاحية

هوية الدولة، الإرث الحضاري، الدين الإسلامي، التنوع الثقافي، مبدأ التسامح، المد الحضاري، العيش المشترك، الاحترام المتبادل.

المقدمة

يشكل موضوع هوية الدولة اهمية كبيرة على مستوى الدراسات والبحوث في الفكر السياسي بشكل عام ، لما لهذا الموضوع من مساس مباشر في تحديد الاطار الفكري والثقافي والحضاري والقيمي الذي تتشكل بموجبه هوية هذه الدولة ام تلك .

ولاشك ان كل دولة من دول العالم اليوم تمتلك هوية خاصة بها تميزها عن باقي الدول، وتعكس من خلالها مضمون ومحتوى ذلك الاطار الفكري والثقافي والحضاري والقيمي الذي تشكلت بموجبه هويتها ، اذ يؤشر هنا اختلاف هذه الدول في طبيعة ومحتوى ومضمون ذلك الاطار الفكري والثقافي والحضاري والقيمي ، وهو الامر الذي يفسر اختلاف دول العالم في مدى امتلاكها لهوية متينة وعميقة وراسخة .

من هنا فان أي دراسة او بحث يتناول موضوع هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، من الضرورة بمكان ان ينشغل بتشخيص مضمون ومحتوى ذلك الاطار الفكري والثقافي والحضاري والقيمي الذي يتميز به العراق بوصفه دولة تمتلك هوية متينة وعميقة وراسخة، وذلك من خلال الارث الحضاري الكبير لبلاد ما بين النهرين (العصور القديمة) للعراق ودوره في بناء وتشكيل هذه الهوية، فضلا عن دور الشريعة الاسلامية السمحاء وما طرحته من اسهامات فكرية وثقافية وانسانية واخلاقية ومعرفية كبيرة وذلك على مستوى تاريخ العراق الوسيط والحديث والمعاصر ودورها في بناء وتشكيل هذه الهوية .

كما ان التنوع الثقافي هو بدوره كان ومازال مصدر غنى واثراء في عملية بناء وتشكيل هذه الهوية، وذلك من خلال اعتماد مبدأ التسامح كركيزة اساسية لا غنى عنها في حفظ وديمومة واثراء هذا التنوع الثقافي ودوره في تشكيل هذه الهوية .

من هنا تأتي محاولة الباحث في بحث ودراسة دور هذه المحاور الاربعة والمتمثلة بالإرث الحضاري ، والدين الاسلامي ، والتنوع الثقافي، واعتماد مبدأ التسامح في عملية بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة.

أولاً: إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول السؤال المركب التالي:

هل هناك مقومات فكرية تقوم عليها هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة ، وهل ان المعطيات الحضارية والثقافية تعد ركناً اساسياً في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة ؟ وهل يشكل التنوع الثقافي (الديني ، والطائفي ، والمذهبي ، والعرقي) في العراق مصدر غنى وأثراء يسهم في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة؟

وهل ان اعتماد مبدأ التسامح كقيمة عليا يعد ضرورة وليس خيار يسهم في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة ؟

ثانياً: فرضية البحث:

تقوم فرضية البحث على أساس ان هناك مقومات فكرية تسهم في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، تتمثل بدور الإرث الحضاري الذي يمتلكه العراق، ودور الدين الإسلامي في العراق، ودور التنوع الثقافي الذي يتميز به العراق، ودور مبدأ التسامح بوصفه قيمة عليا لحفظ هذا التنوع وديمومته.

ثالثاً: اهداف البحث

١ – يهدف البحث الى تسليط الضوء والتأكيد على ان هناك مقومات ومعطيات فكرية تتشكل بموجبها هوية الدولة .

٢ – ويهدف البحث الى تشخيص وتحديد أبرز تلك المقومات والمعطيات الفكرية التي تسهم في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

٣ – ويهدف البحث الى وصف وتحليل دور ابرز تلك المقومات والمعطيات الفكرية واثرها في عملية بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

٤ –ويهدف البحث الى التأكيد على ان دراسة موضوع هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة يرتبط ارتباطا سببيا وموضوعياً بتشخيص ودراسة المقومات الفكرية التي تسهم في بناء وتشكيل هذه الهوية .

رابعاً: هيكلية البحث

توزعت هيكلية البحث على مبحثين رئيسيين جاء الأول تحت عنوان (دور الإرث الحضاري والدين الإسلامي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة)، وتضمن هذا المبحث مطلبين أساسيين تناول الأول (دور الإرث الحضاري في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة)، بينما تناول المطلب الثاني موضوع (دور الدين الإسلامي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة وجاء المبحث الثاني بعنوان (دور التنوع الثقافي واعتماد مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة) والذي توزع بدوره على مطلبين أساسيين الاول بحث موضوع (دور التنوع الثقافي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة) بينما تناول المطلب الثاني موضوع (دور مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة وصولاً الى محاولة اثبات فرضية البحث المطروحة للبحث والى عدد من الاستنتاجات المتعلقة بموضوع البحث ، واقتراح بعض التوصيات في هذا الجانب.

خامساً: خطة البحث

المبحث الأول: دور الإرث الحضاري والدين الإسلامي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة.

المطلب الأول: دور الارث الحضاري في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة.

المطلب الثاني : دور الدين الاسلامي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

المبحث الثاني : دور التنوع الثقافي واعتماد مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

المطلب الأول : دور التنوع الثقافي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

المطلب الثاني: دور مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة.

الخاتمة .

I. المبحث الأول

دور الإرث الحضاري والدين الإسلامي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة

يعد الإرث الحضاري احد ابرز المحاور الرئيسية التي تتشكل بموجبها هوية الدولة ، وذلك لما يتضمنه هذا المحور من مقومات ومعطيات ثقافية (فكرية) واجتماعية وسياسية واقتصادية لها الاثر الواضح والملموس في عملية بناء وتشكيل الهوية لهذه الدولة ام تلك .

وان عملية التفاعل والتكامل بين هذه المقومات والمعطيات من شأنها ان تعطي طابعا متميزا لهوية الدولة يتماهى مع طبيعة واهمية وعمق تلك المقومات والمعطيات .

على ذلك فان العراق وبما يمتلكه من ارث حضاري كبير وعميق تضمن مقومات ومعطيات ثقافية وفكرية عميقة وكبيرة، يعد من بين ابرز دول العالم تميزاً في هذا الجانب، وهو الامر الذي ينعكس وبشكل محوري وأساسي على مسألة بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة.

I.أ. المطلب الأول

دور التنوع الثقافي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

وقبل الولوج في بحث ودراسة موضوع (دور الارث الحضاري في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة) ، فأن من متطلبات ومقتضيات المنهجية العلمية تناول الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية لمفردة الحضارة ، كما سيتم تناول الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمفردة (الهوية).

اولا : الدلالة اللغوية لمفردة الحضارة

ورد في لسان العرب الجذر حضر : الحضور نقيض المغيب والغيبة ، حَضَرَ يَحْضُرُ حضُوراً وحِضارَة ؛ ويُعدى فيقال: حَضَرَه وحَضرَه يَحضُرُه ، وهو شاذ، والمصدر كالمصدر.

واحضَرَ الشئ وأحضَرَهَ اياه ، وكان ذلك بَحضْرة فلان وحِضْرتهِ وحَضَرِه ومَحْضرِه ، وكَلمتهُ بِحضرَةِ فلان وبمحضر منه أي بمشهد منه ، وكلمته ايضاً بِحَضرِ فلان بالتحريك ، وكلهم يقول : يحضر فلان بالتحريك .

والحِضارَةُ : الاقامة في الحضر ؛ عن ابي زيد .

وكان الاصمعي يقول : الحَضارةُ ، بالفتح ، قال القطامي :

فمن تكن الحَضارَةُ اعجَبَته فأي رجالِ بادية ترانا

والحاضِرةُ والحاضِرُ : الحي العظيم او القوم ، وقال ابن سيده :

الحي اذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم(١).

وجاء في المعجم الوسيط ؛ حضارة : اقام في الحضر ، وتحضر : تخلق باخلاق اهل الحضر وعاداتهم(٢).

ولم يرد لفظ (الحضارة) في الاستعمال القرآني ، ولكن جذر الكلمة وهي مادة (حضر) موجودة في القرآن الكريم ، والذي يعني الحضور والشهود لمكان او انسان او غيره .

قال تعالى : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(٣).

وقوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)(٤).

وقوله تعالى : (وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً)(٥).

ثانيا : الدلالة الاصطلاحية لمفردة الحضارة :

في كتابه (فلسفة الحضارة) يشير (اشفايتزر) الى ان الحضارة : " هي التقدم الروحي او الاخلاقي والمادي للمجتمع او الفرد"(٦)، وذهب (جميل صليبا) في معجمه الفلسفي الى ذات المعنى واشار الى ان الحضارة تمثل : " مظاهر التقدم العقلي والمادي معا وهي ذات طابع اجتماعي"(٧)، وفي السياق نفسه يعرف (علي شريعتي) الحضارة : "هي عبارة عن مجموعة من البناءات الانسانية والذخائر المادية والمعنوية للمجتمع الانساني"(٨).

وتعرف (موسوعة السياسة) الحضارة بانها: " مشتقة من التحضر والتمدن (من الحضر والمدنية)، وهي مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والاخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم ويركز البعض في استخدام المصطلح

(١)ابن منظور : *لسان العرب* ، مج٤ ، (بيروت : دار صادر : د . ت) ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .
(٢)مجموعة باحثين : *المعجم الوسيط* ، مادة حضر ، ط٢ ،(تركيا : دار الدعوة ، ١٩٨٩) ، ص١٨١ .
(٣)سورة البقرة ، آية ١٣٣ .
(٤)سورة البقرة ، اية ١٨٠ .
(٥)سورة النساء ، اية ٨ .
(٦)البرت اشفايتزر : *فلسفة الحضارة* ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، زكي نجيب محمود ، (مصر : وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣) ، ص٣٤.
(٧)جميل صليبا : *المعجم الفلسفي* ، (قم : منشورات ذوي القربى ، ١٣٨٥ فارسي)، ص ٤٧٧ .
(٨)علي شريعتي : *الحضارة ، دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها* ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: ١٩٧٨) ، ص ٤٨ .

على الناحية الثقافية بينما يستخدمها البعض الآخر على اساس انها سيادة العقل في المجتمع، أما استخدامها المعاصر فقد شدد على ما تضمنته من التطور العلمي والتكنولوجي وما يقرره هذا التقدم من انجازات في الميادين الاخرى من الحياة"[١].

وفي السياق نفسه يعرف (هينتغتون) الحضارة بانها : "اعلى تجمع ثقافي للبشر واوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل اليها والتي تميز بني البشر عن الانواع الاخرى"[٢].

اما بالنسبة للدلالة اللغوية لمفردة الهوية فان اصلها في (هو) وتعني حقيقة الشئ أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية وليست أي صفات ، والتي تميزه عن غيره[٣].

والدلالة الاصطلاحية لمفردة (الهوية) فأن هوية الشئ تعني ماهيته ، حقيقته ، حقيقته المعبرة عنه ، وهي نوع من انواع التمايز ، فالشخص يتمايز ، وفي التراث العربي للهوية ثلاث معاني وهي : التشخيص ، والشخص نفسه ، والوجود[٤].

ويتضمن مفهوم الهوية تساؤلات واستفهامات عدة من قبيل (من نحن / الأنا)، تفيد التساؤلات الى ان الهوية هي احساس الفرد او الجماعة بالذات انها نتيجة وعي الذات، بأنني انا او نحن نمتلك خصائص مميزة بوصفها كينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم، فهي تشير الى مفهوم وجودي يوضح علاقة الفرد بالمحيط الانساني والنظم المعرفية التي تؤثر في سلوكه وتحدد انتمائه الذاتي واحترامه لخصوصيات الافراد والجماعات الاخرى[٥].

فالهوية في الحقيقة هويتان : فردية وجماعية ، اما الجماعية فهي الخصائص العامة التي تميز الجماعة ، اية جماعة عن غيرها من الجماعات ، وتنعكس على سلوكها ومواقفها ، بل وتنضبط بها وتنظم مسيرتها ايضا[٦].

من هنا يمكن ان ندرك اهمية ودور الهوية في حياتنا بشكل عام من خلال ما يلي[٧]:

---

(١)عبد الوهاب الكيالي : *موسوعة السياسة* ، ج٢ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠١) ، ص٥٤٩ .

(٢)صاموئيل هنتغتون : *صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي* ، ترجمة مالك ابو شهيوة ومحمود محمد خلف ، (ليبيا : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، د.ت)، ص١٠٦ .

(٣)لويس معلوف : *المنجد في اللغة والاعلام* ، ط٢٦، (بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦) ، ص٨٧٥ .

(٤)*ديوان ابن الرومي* : تحقيق حسين نصار ، ج٢ ، ط٣ ، (القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٣) ، ص٧٦٦ .

(٥)اليكسي ميكشيللي : *الهوية* ، ترجمة علي وطفة ، (دمشق : دار الوسيم ، ١٩٩٣)، ص٦٨ – ٦٩ .

(٦)مجموعة باحثين : *هويتي (دراسة في ملامح الهوية الاسلامية)* ، (الكويت : دار التوحيد للنشر والتوزيع، ٢٠١٥) ، ص ١٠ .

(٧)المصدر نفسه ، ص١٠ – ١١ .

١ – مساهمتها في بناء الشخصية .

٢ – تحديدها لطبيعة الانتماء .

٣ – اهميتها في رسم التوجه الفكري والسياسي ، أي انها تحدد (خط السير) .

٤ – تشكيلها لقاعدة موحدة ، وايجاد وسيلة تفاهم وتعايش مشترك .

٥ – ما تمنحه من قوة جذب للآخرين .

تجدر الاشارة الى ان هناك العديد من النظريات والتعاريف التي تناولت مفهوم الهوية ، لاسيما على مستوى الفكر الفلسفي الغربي الحديث والمعاصر[١].

وبناءً على كل ما تقدم فأن دور الإرث الحضاري في مسالة تشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة تمثل بالعديد من الجوانب والابعاد المحورية والتي كان وما زال لها الاثر الواضح والملموس في تشكيل هوية راسخة وعميقة ومتميزة لهذه الدولة .

من هنا فأن المنظور (العلمي – الفلسفي – العقيدي) هو السبيل الأفضل في الحكم على الحقيقة المعرفية ، حين يكون موضوعها حضارة وادي الرافدين ، او سواها من الحضارات الانسانية العريقة التي اسست فيها البشرية لحقبة ما بعد الطوفان (في الالف العاشر قبل الميلاد) ... وبطل ذلك المسرح ، والفعل التاريخي كان سمة الادوار السومرية والأكدية والآمورية والآشورية والكلدانية ، ثم العربية الاسلامية في هذا الربوع حتى شكلت (الحكمة) التي تحدث عنها (نيتشة) والعلوم والعقائد ، المثلث الذي استقام عليه الصرح الحيوي في العالم القديم[٢].

وبذلك فقد تشكلت حضارة العراق القديم في سياق تطور تاريخي من الالف الرابع قبل الميلاد الى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة (الكلدانية) .

وكان العراقيون القدامى اول من اخترع الكتابة ووضعوا الشرائع ودونوها في تاريخ الحضارات البشرية ، وهم اول من اخترع الارقام واهتدوا الى العمليات الحسابية وكذلك هم اول من أسس علم الفلك كما انهم ساهموا في تقدم العلوم والفنون [٣].

(١)للمزيد ينظر جليلة المليح الواكدي: *مفهوم الهوية ، مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة – في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع* ، (لا مكان : مركز النشر الجامعي ، ٢٠١٠) ، ص ٦٥ - ١٧٥ .

(٢)علي حسين الجابري : "البعد الاخلاقي في فلسفة احيفار الاشوري القرن ٧ – ٦ ق. م"، *بحث منشور في كتاب الفلسفة العراقية من البواكير الى الحاضر ، بغداد، بيت الحكمة* ، (٢٠١٠) ، ص٢٣ .

(٣)سهيل قاشا : *عراق الاوائل حضارة وادي الرافدين من ٥٠٠٠ – ٥٠٠ قبل الميلاد* ، (بيروت: العارف للمطبوعات ، ٢٠١٠) ، ص٩٠ .

فعلى مستوى (الكتابة) فان السومريون هم اول من اخترع الكتابة وذلك في عصر (الوركاء) حوالي منتصف الالف الرابع قبل الميلاد[١]، وفي اللحاظ نفسه يشير (س . ن. كريمر) الى ان اول مدرسة في العالم كانت قد اسست في هذه البلاد الطيبة ، بلاد ما بين النهرين، وكان ذلك قبل خمسة الاف سنة ، حيث عرف السومريون الكتابة لأول مرة في التاريخ . وكانت المدرسة السومرية ثمرة اكتشاف الكتابة وتطورها وتلك هي اعظم الانجازات الحضارية اتي انجزها البشر عبر القرون[٢].

ان الانجاز الحضاري الكبير الذي اكتشفه العراقيون القدامى والمتمثل باكتشافهم للكتابة اسهم وبشكل اساسي في وجود المدارس والمكتبات، كما ادى هذا الاكتشاف الكبير الى ان يتوصل العراقيون القدامى الى وضع اول قاموس لغوي في التاريخ، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد ، بالإضافة الى نشوء وازدهار الادب من شعر ونثر ، اذ تعد اسطورة (كلكامش) ملحمة شعرية سومرية الاصل بابلية النتاج، وهي تصنف من حيث افكارها وصفاتها الشعرية بين اوائل الادب العالمي وشوامخها، كما ان اكتشاف الكتابة جعل من العراقيين القدامى هم اول المدونين للتاريخ واول من اهتم بعلم الجغرافية[٣] .

ويشير الباحث (س . ن . كريمر) الى ان العراقيين القدامى هم اول من وضع تقويم زراعي في العالم وذلك بقوله: "لقد كان لوحا طينيا صغيرا ذلك الذي عثر عليه في العراق، في مدينة (نفر) السومرية ، وهو ذو اهمية عظمى في تاريخ تقنية الزراعة... ومن الجدير بالذكر هنا ان تاريخ الحضارة الانسانية عرف مثل هذه الكتابات فقد تم اكتشاف سجلين مماثلين يعودان الى زمن الاغريق والرومان ، حيث جاء الأول عن (هيزيود) والاخر عن (فرجيل). واقدمهما وثيقة (هيزيود) التي تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد ، بينما تعود الوثيقة لسومرية الى سنة (١٧٠٠) قبل الميلاد ، وبذلك تكون سابقة لوثيقة (هيزيود) بما يقارب الف سنة[٤].

اما على مستوى (القوانين والشرائع) فأن القانون في العراق يعد اقدم الشرائع المدونة في تاريخ البشرية، وبالاضافة الى ذلك فان الاكتشافات الاثرية الحديثة تدل على وجود مجموعات قانونية متعددة ، وضعت في مختلف عهود تاريخ العراق القديم[٥]. وهنا يمكننا الاشارة الى ابرز تلك الشرائع وهي :

١ – شريعة اورنمو .

---

(١)المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢)س . ن . كريمر : *هنا بدأ التاريخ ، حول الاصالة في حضارة وادي الرافدين ، الموسوعة الصغيرة* ، ترجمة وتلخيص ناجية المراني ، (لا مكان : د ت)، ص٨.

(٣)للمزيد ينظر سهيل قاشا : *عراق الاوائل* ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٢ – ١٢٦.

(٤)س . ن . كريمر : هنا بدأ التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٦ – ٥٧ .

(٥)سهيل قاشا : عراق الاوائل ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٧ .

٢ – شريعة اشنونا .

٣ – شريعة لبت عشتار .

٤ – شريعة حمورابي .

وتعتبر هذه الوثيقة (شريعة حمورابي) من قبل المتخصصين بالقانون اول شريعة عرفها تاريخ البشر، وذلك من حيث تكامل بنودها وتفصيلات نصوصها[١].

تجدر الاشارة هنا الى ان اول اصلاحات اقتصادية واجتماعية كانت قد حدثت في سومر ودونت في سجلاتها التي تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، وذلك من خلال وضع قواعد قانونية مكتوبة تضمن للمجتمع العراقي القديم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، وتشير المصادر التاريخية بان كلمة حرية (اماركي) قد وردت في اقدم وثيقة سومرية عرفها العالم القديم.

واعتبر اقدم اصلاح اقتصادي واجتماعي في التاريخ، ومن المبادئ التي جاء بها هذا الاصلاح هي تأكيده على ان فكرة الحرية في حدود القانون[٢].

اما على مستوى الفنون ، يتفق المؤرخون على ان بلاد ما بين النهرين موطن نشأة سائر الفنون من فن البناء الى فن الموسيقى والفنون التشكيلية مثل النحت والنقش والاختام الاسطوانية، والفنون الصغرى (النفائس الفنية والصناعات الدقيقة مثل التطعيم او التكفيت) [٣].

تجدر الاشارة هنا الى انه في العصر السومري المبكر توصل المرء لأول مرة الى جعل الفنون التشكيلية التي كانت في خدمة التمثيل المعروف، وسيلة دعائية وترويج لعبادة الاله الرسمي وقوة السلطة او الايمان الشعبي[٤].

كما اكتسب الفن المعماري وظيفة بنائية لأول معبد لدى الدعوة والدعاية للسلطة الدينية وللسلطة الرسمية في الوقت ذاته[٥].

اما على مستوى العلوم الطبية والطبيعية فقد ازدهرت في العراق القديم بشكل كبير اذ كان للطب قواعده واصوله عند البابليين . كما ازدهرت الرياضيات والحساب والعلوم الفلكية

(١)س. ن. كريمر : هنا بدأ التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٠ .
(٢)س . ن . كريمر : هنا بدأ التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩ – ٣٠ .
(٣)سهيل قاشا : عراق الأوائل ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤٦ .
(٤)مجموعة مؤلفين : *حضارة وادي الرافدين سومر – اشور – بابل – سبعة الاف سنة من الفن والحضارة* ، ترجمة قاسم مطر التميمي ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠١٠) ، ص٢٩ – ٣١ .
(٥) مجموعة مؤلفين: حضارة وادي الرافدين سومر-اشور-بابل، مصدر سبق ذكره، ص٣١.

في بلاد ما بين النهرين ، اذ ان اقدم الارقام والحساب في تاريخ الحضارات البشرية نشأ في بلاد الرافدين[١] .

ان الارث الحضاري لبلاد ما بين النهرين من السعة والشمول بمكان بحيث يتطلب بحوث ودراسات واسعة ومستفيضة ومتخصصة في كل جانب من الجوانب التي حاولنا الاشارة اليها ، كما ان هناك جوانب ومجالات معرفية وعلمية اخرى اسهم في اغنائها وتطويرها الانسان في العراق القديم ، لا يمكن وبأي حال من الاحوال تغطيتها بشكل كامل ، في هذ المطلب المقتضب حول دور الارث الحضاري في بناء هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة . انما الفكرة التي نحاول طرحها وتثبيتها في هذا المطلب تتمحور حول ان هذا الارث الحضاري وبهذا المستوى من السعة والعمق والشمول والرقي والتحضر من المنطقي والموضوعي ان ينعكس وبشكل كبير على مساءلة تشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة بوصفها هوية ترتكز على عمق وارث حضاري عظيم في مختلف المجالات الثقافية والمعرفية والعلمية ... الخ . وبالتالي فهي هوية عميقة ومتينة وراسخة .

I.ب. المطلب الثاني

دور الدين الاسلامي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة

تعد سمة الشمول من بين ابرز السمات التي تميزت بها الشريعة الاسلامية السمحاء ، ذلك ان الدين الاسلامي هو اكبر واوسع من مجرد دين انه نظام متكامل للحياة ، بكل جوانبها وابعادها وغاياتها .

من هنا فأن دور الدين الاسلامي في تاريخ الانسانية بشكل عام كان وما زال دورا محوريا يشتمل على نواحي وجوانب مختلفة الايماني منها والاخلاقي والمعرفي والثقافي (الفكري) ، والاجتماعي والسياسي والاقتصادي ... الخ .

اذ كان العامل الاساس في سرعة انتشار الاسلام واقبال الامم والشعوب على اعتناقه، احقية مبادئ الاسلام وانسجامها مع الفطرة والعقل ، وافضلية القوانين والتعاليم التي جاء بها ، فضلا عن الدور المساعد والمتمثل في كفاءة وجدارة حملة الاسلام ورواده الاوائل ، وفي مقدمتهم الرسول الاكرم محمد بن عبد الله (ص) والأئمة الاطهار من اهل بيته والصحابة الأخيار الذين تربوا على يده [٢].

(١)للمزيد ينظر: سهيل قاشا ، عراق الاوائل، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٣-٢٠٨.

(٢)حسن بن موسى الصفار : "التعددية والحرية في الاسلام "، *بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب ، ط٤ ، بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي* ، (٢٠١٠) ، ص٦٣ – ٦٤ .

وليس هناك خلاف على ان (الفتوحات العلمية) التي ازدانت بها حضارتنا العربية الاسلامية في عصرها الذهبي قد لعبت الدور المتميز في الازدهار الذي حققته هذه الحضارة ... ولاعلى أن (الانجازات العلمية) المتميزة التي صنعتها هذه الحضارة في مختلف فروع المعرفة العلمية – بمعناها الرحب – هي التي وسعت افق هذه الحضارة واعطتها الصيغة العقلانية التي تميزت بها ، وجعلتها منارة العالم لعدة قرون . تلك حقائق امتلأت وتمتلئ بها الاسفار التي خصصها اصحابها لتاريخ العلوم ، عربا ومسلمين كانوا ام من المستشرقين[١].

بعد فتح العراق وزوال الدولة الساسانية ، إذ اعتنق دهاقين (الفلاليج والنهرين وبابل) وغيرهم الاسلام ، فأقرهم الخليفة (عمر بن الخطاب) (رض) على ما بأيديهم من البلاد ورفع عنهم الجزية[٢].

وكان الصراع في هذه المنطقة استغرق عدة سنوات.

وقد خاض (سعد) اقسى المعارك ضد الفرس ومن اهمها معركة القادسية ومعركة المدائن وجلولاء ، وعقب الانتهاء من جلولاء دانت للمسلمين كل ارض السواد ، وكانت القادسية تعرف عند العرب بانها باب فارس[٣].

عند ذلك كتب (سعد) الى الخليفة (عمر) يبشره بالفتح ، فكتب اليه ان يقنع بهذا ، فأتخذ (سعد) مدينة الكوفة، واسس فيها المسجد الجامع ، واختط الناس المنازل بها، واصبحت من حواضر المسلمين الهامة [٤].

ولم تقتصر اعمال العرب على الحرب والفتح فحسب ، بل انهم أعادوا الامن والنظام الى البلاد وقاموا بإصلاحات عظيمة فنظموا الادارة ، ونصبوا القضاة ، ورسموا خطة جباية الخراج ، وعنوا عناية كبرى بالأعمال الخاصة بهندسة الري وانشاء الاحواض ، والقناطر والجسور[٥].

وبعد هذه المرحلة التاريخية المفصلية والتي ادت الى انتشار الاسلام في العراق ، تواجهنا مرحلة تاريخية مفصلية اخرى اسهمت وبشكل محوري واساسي في ترسيخ وتطوير العلوم الاسلامية بجوانبها ومجالاتها المختلفة ، وتتمثل هذه المرحلة التاريخية بتاسيس وتطوير

---

(١)نقلا عن محمد عمارة : *الاسلام وحقوق الانسان ، ضرورات .. لا حقوق* ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، د . ت) ، ص ٦٩ .

(٢)جان فرانسوا نودينو : ٢١ *دولة لأمة عربية واحدة* ، ترجمة خليل احمد خليل ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣) ، ص١٥٨ – ١٥٩ .

(٣)ابي جعفر محمد بن جرير الطبري : *تاريخ الطبري ، تاريخ الامم والملوك* ، ج٢، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥) ، ص ٢٢٢٨ .

(٤)جان فرانسوا نودينو: ٢١ دولة لأمة عربية واحدة ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٠ .

(٥)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

مدرسة الكوفة والتي ازدهرت آبان اتخاذها عاصمة للدولة الاسلامية من قبل الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، اذ تم تأسيس هذه المدرسة التي استمرت بالتطور واصبحت رافدا اساسيا لسائر العلوم السائدة في القرنين الاول والثاني الهجريين لعدد كبير من الحواضر الاسلامية شرقا وغربا ، ونمت فيها وترعرعت البذرة المثمرة التي كان للامام (علي) (عليه السلام) اليد الطولى في تهيئة الارض الصالحة لها ، وخاصة في علوم الاداب العربية والفقه والحديث والتفسير والقراءات، ويشهد لذلك انتساب جمع غفير من نوابغ النحاة والشعراء والفقهاء والرواة والقراء والمفسرين اليها[١].

وبلغت مدرسة الكوفة اوجها في عهد الامام الصادق (عليه السلام) فقد عدت مدرسته من ابرز المدارس العلمية في الكوفة، وكان رواة ابي عبد الله الصادق(عليه السلام) اربعة آلاف او يزيدون .

وفي حديث الحسن بن علي الوشا : " ادركت في هذا المسجد – يعني مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد (عليه السلام) [٢].

وقد ساهم عدد من تلامذة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) مساهمة عظمى في تقدم علمي الفقه والكلام ، وصار اثنان من تلامذته وهما (ابو حنيفة ومالك بن انس) فيما بعد من اصحاب المذاهب الفقهية .. وكان جابر بن حيان الكيمياوي الشهير من تلامذته ايضا[٣].

وتواجهنا هنا أيضاً مرحلة تاريخية مفصلية أخرى إذ اصبح العراق عاصمة العالم الاسلامي خلال العصر العباسي ، فقد اتخذ العباسيون الكوفة عاصمة لهم عقب زحفهم الناجح من (خراسان) . ومن الكوفة انتقلوا الى الحيرة فالأنبار ، ثم بنوا العاصمة التليدة (بغداد) ، وفي هذه العاصمة تجمعت كل افانين المجد والعظمة حتى اصبحت (بغداد) رمز الزهو والجلال في كثير من البقاع ... وكان العصر العباسي الاول (١٣٢–٢٣٢هـ) قمة بين العصور الاسلامية، فقد استكملت فيه الدولة استقرارها السياسي وامتدت حدودها امتدادا بعيدا[٤].

ومن الطبيعي ان يكون العصر العباسي الاول انسب العصور ملائمة للنهضة الثقافية ، فمدنية الاسلام بدأت فيه تستقر بعد هدوء حركة التوسع والفتوح التي كانت طابع العصر

---

(١)نقلا عن محمد جعفر الحكيم : *تاريخ وتطور الفقه والاصول في حوزة النجف الاشرف العلمية* ، ط٢ ، (بيروت : المؤسسة الدولية ، ٢٠٠٢) ، ص٢١ .

(٢)جعفر الخليلي : *موسوعة العتبات المقدسة* ،قسم النجف ، ج٧ ، (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ١٩٨٧) ، ص١٨ .

(٣)دوايت م . دونلدس : *عقيدة الشيعة* ، تعريب ع . م ، (مصر : مكتبة الخانجي ومطبعتها ، د . ت) ، ص١٤١ .

(٤)احمد شلبي : *موسوعة التاريخ الاسلامي* ، ج٧ ، ط٥ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٢) ، ص٦٩٥ .

الاموي ، والثقافة تنتشر في الامة اذا هدأت ، واستقرت احوالها وامورها ، وانتظم ميزانها الاقتصادي ، اذ ان جل هذا قد توافر للامة الاسلامية وذلك بعد قيام الدولة العباسية[١].

فظهر في ذلك العصر نخبة من الفلاسفة والشعراء والمؤرخين والرياضيين ورجال الدين، وقادة الفكر الذين اكسبوا اللغة العربية والعلوم الاسلامية اغنى وابرز تراث بشري حظيت به[٢].

وتمثلت النهضة العلمية في العصر العباسي الاول بثلاث جوانب رئيسية وهي[٣]:

١ – حركة التصنيف: وهي على ثلاث مراحل : الاولى (تقييد الفكرة او الحديث) والثانية (تدوين الافكار المتشابهة او احاديث الرسول في ديوان واحد)، والثالثة (مرحلة التصنيف وهي ادق من التدوين).

٢ – تنظيم العلوم الاسلامية : وهي العلوم التي نبعت من طبيعة الحياة الاسلامية . وهي التي تتعلق بالدين ولغة القرآن، ويطلق عليها بعض المصنفين (العلوم النقلية).

٣ – الترجمة من اللغات الاجنبية: وهنا من المفيد الاشارة الى ماطرحه (غانم محمد صالح) وذلك بقوله: "لاشك ان حركة الترجمة التي قام بها العرب المسلمون للفلسفة اليونانية هي القناة التي هيأت فرص انتقال هذه الفلسفة من الحضارة القديمة الى الحضارة المسيحية بعد ترجمتها الى اللاتينية . حركة الترجمة هذه تقترن اساسا بعهد (المأمون ٨١٣– ٨٣٣ م)، الذي انشأ لهذا الغرض هيئة خاصة عرفت باسم (دار الحكمة) ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتدفق سيل عارم من التراجم طيلة القرن التاسع والجزء الاعظم من القرن العاشر الميلادي حتى تم انجاز ترجمة كل المؤلفات اليونانية التي حظيت باهتمام العرب .

هذا الانجاز العلمي الضخم يدفع الى القول بدون موارية ان التراث الفكري العربي الاسلامي قد ابرز فلاسفة يمكن ادراجهم في عداد عظماء فلاسفة العالم"[٤].

تجدر الاشارة هنا الى حقيقتين هامتين هما[٥]:

أولا : ان المسلمين لم يكونوا مترجمين فقط ، وانما كانوا مبتكرين ومبدعين في هذه المواد التي نقلوها من اللغات الاجنبية ، فقد فسروها واضافوا اليها شروحا وتطبيقات عظيمة القيمة ، جليلة القدر .

(١)احمد شلبي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٢٨ .
(٢)المصدر نفسه ، ص٢٢٨ – ٢٢٩ .
(٣)للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ – ٢٣٢ .
(٤)غانم محمد صالح : *الفكر السياسي القديم والوسيط* ، (بغداد : مكتبة السنهوري ، د.ت) ، ص١٨٣ .
(٥)احمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٣ ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٤٦.

ثانيا : لعب المسلمون بهذا دورا كبيرا في خدمة الثقافة العالمية ، فقد انقذوا هذه العلوم من فناء محقق ، اذ تسلموا هذه الكتب في عصور الظلام ، فبعثوا فيها الحياة ، وعن طريق معاهدهم وجامعاتهم وابحاثهم وصلت هذه الدراسات الى اوربا ، فترجمت مجموعات كبيرة من اللغة العربية الى اللاتينية ، وقد كان ذلك اساسا لثقافة اوربا الحديثة ومن اهم الاسباب التي ادت الى النهضة الاوربية .

من هنا فأن الدور الذي اسهم به الدين الاسلامي على مستوى تاريخ العراق الوسيط ، كان دورا محوريا في صياغة ورسم المقومات والمعطيات الحضارية لذلك العصر ، وذلك على اصعدة وجوانب مختلفة الدينية منها والعلمية والثقافية (الفكرية) ، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاخلاقية والمدنية ، والذي امتدت آثاره وانعكاساته المثمرة على مستوى تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، اذ لايمكن وبأي حال من الاحوال انفصام الحركة الفكرية والثقافية والعلمية والمعرفية في شتى مجالاتها وجوانبها وابعادها والتي عرفها تاريخ العراق الحديث والمعاصر عن كل ذلك الارث والمد الحضاري الكبير، سواء على مستوى الاسهامات والانجازات العلمية والثقافية والفكرية والمعرفية التي عرفها تاريخ العراق القديم ، ام على مستوى الانجازات والاسهامات العلمية والثقافية الفكرية والمعرفية على مستوى تاريخ العراق الوسيط ، والذي تمثل ببروز الحضارة العربية الاسلامية في تلك الحقبة .

على ذلك فان من المنطقي والموضوعي ان ينعكس كل ذلك على مسألة بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة ، بوصفها هوية تتضمن كل ذلك الارث الحضاري الثري والعظيم .

II. المبحث الثاني

دور التنوع الثقافي واعتماد مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة

II.أ. المطلب الأول

دور التنوع الثقافي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة

يعد التنوع الثقافي من بين أبرز السمات التي يتميز بها المجتمع العراقي وذلك على مستوى تاريخ العراق القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وقد اقترن تاريخ العراق بمختلف مراحله وعصوره بهذه السمة المتميزة والخلاقة في الوقت نفسه، وهو الامر الذي يفسر الأثر والدور العميق والكبير الذي يسهم به التنوع الثقافي في العراق في بناء وتشكيل هوية متميزة للدولة العراقية الحديثة والمعاصرة تعكس كل ذلك التنوع الثقافي بوصفه سمة ملازمة للعراق منذ فجر التاريخ ولغاية اليوم، وقبل الولوج في بحث موضوع دور التنوع الثقافي في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، لابد من تناول دلالة ومعنى التنوع الثقافي،

على ذلك سنحاول تناول معنى ودلالة التنوع والتعدد ومعنى ودلالة مفردة الثقافة وصولاً الى تحديد معنى ودلالة التنوع الثقافي ، فلما كان التنوع سمة كونية وبالتالي فهو سمة من سمات الحياة البشرية، وجدت لتحقيق العديد من الغايات التي من شأنها ان تعطي للوجود الانساني مكانته التي يستحقها دون باقي المخلوقات، اذ ان قيمة الحياة البشرية انما ارتبطت ارتباطا سببيا وموضوعيا بوجود التنوع، وان مسألة ادراك اسباب التنوع وغاياته من شأنه ان يسير بحياة البشرية نحو التكامل .

ولما كان التنوع سمة من سمات الخلق البارزة ، فلا بد لها من حكمة ، وتتجسد هذه الحكمة في ان الابداع والتجديد مرتبطان ارتباطا سببيا وموضوعيا بوجود التنوع والتمايز والتعدد حتى لو تمثل صراعا بين النقيض والنقيض ، بالتالي سيؤدي الى ولادة جديدة تتضمن سمات النقيضين مع ملامح اضافية . ومن هنا كان الابداع والخلق بمثابة طفرة نوعية الى الامام يولد من صراع النقيضين او من تكامل المختلفين. نرى ذلك في مظاهر الطبيعة حولنا. وفي الفكر والآداب والفنون وفي العلوم المختلفة الانسانية والتطبيقية[١].

على ذلك فأن ظاهرة التعايش مع التنوع والتعدد تقود الى التكامل في الحياة الانسانية، وفي الوجود الكوني. اذ ان الصراع بين المختلفين ليس هدفه الغاء الاخر، بل يهدف الى اثراء الآخر واغنائه[٢].

ان ظاهرة التنوع وما تؤدي اليه من نتائج ايجابية في حياة الناس وردت بأروع واعمق واعظم معانيها وابعادها ودلالاتها وغايتها في قوله تعالى : " يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ "[٣].

والتنوع بين الناس على نوعين [٤]:

الاول: تنوع طبيعي تكويني ، وجد الناس انفسهم ضمنه دون اختيار منهم ، حيث لايستشار احد . ولا يخيّر قبل مجيئه لهذه الدنيا ، في انتمائه العرقي او القومي ، ولا في ملامح شكله ومظهره .

الثاني : تنوع اختياري كسبي ، يرتبط بقناعات الانسان وافكاره ونمط سلوكه واتجاهه ، فكل انسان هو الذي يقرر ما يعتنق من دين ، وما يؤمن به من فكر ، وما يرتضية لنفسه من ثقافة وسلوك ، وتبعا لذلك تتعدد الاديان بين الناس وتختلف المدارس الفكرية ، وتتنوع الاتجاهات السياسية .

(١)حسن عز الدين بحر العلوم : *التعددية الدينية في الفكر الاسلامي* ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١١) ، ص٣٤ .
(٢)حسن عز الدين بحر العلوم : المصدر السابق، ص٣٤.
(٣)سورة الحجرات : آية ١٣ .
(٤)حسن موسى الصفار : *التنوع والتعايش* ، (بيروت : دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٨) ، ص٥٥ ـ ٥٦ .

من هنا فان التنوع في جوهره وحقيقته ناشئ من تقدير الله تعالى وحكمته لوجود الانسان في هذه الحياة الدنيا ، اذ خلقه الله تعالى حرا مريدا مختارا قادرا على التفكير والتميز والادراك ، واتخاذ القرار ، ليكون بذلك في موضع الابتلاء والامتحان فيستحق الثواب والعقاب .

يتبين ذلك في قوله تعالى: "وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ"[١].

تجدر الاشارة هنا الى ان مفهوم التنوع يرتبط ارتباطا صميميا بمفهوم التعددية والتي هي لغويا اسم مؤنث منسوب الى تعدد ، وفلسفيا هي مفهوم ينادي بوجود عدة انواع من الواقع والحقيقة مع ضرورة قبول الانماط الثقافية والجنسية والعرقية والدينية القائمة بين مختلف الجماعات الانسانية[٢] .

اما سياسيا فهي نظام سياسي قائم على تعايش الجماعات المتنوعة المختلفة والمستقلة في الادارة ، مع تمثيلها في الحكم ... وفي منظار علم الاجتماع التعددية هي عبارة عن اطار للتفاعل بين عدة أقليات في مجتمع واحد ، حيث تظهر فيه المجموعات التي تحترم التسامح مع الآخرين والتعايش المثمر والتفاعل بدون صراع دموي مع عدم تحقيق الانصهار الفعلي. وتعتبر التعددية من اهم ملامح المجتمعات الحديثة والمجموعات الاجتماعية[٣].

ويعرف قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التعددية على انها عبارة عن : " تنظيم حياة المجتمع وفق قواعد عامة مشتركة تحترم وجود التنوع والاختلاف في اتجاهات السكان في المجتمعات ذات الاطر الواسعة ، وخاصة المجتمعات الحديثة حيث تختلط الاتجاهات الايدولوجية والفلسفية والدينية"[٤].

هذا بالنسبة لدلالة ومعنى التنوع والتعددية ، اما ما يتعلق بدلالة ومعنى (الثقافة)، فان الثقافة في اللغة من المصدر : ثقف ، ثقف الشئ ثقفا ، وثقوفا، خدمة ، وقال للرجل ثقف بتسكين القاف وكسرها وضمها ، ويقال للمرأة: ثقاف، ويقال : رجل ثقف لقف ، اذا كان ضابطا لما يعلم قائما به ، ذو فطنة وذكاء، والمراد به ثابت المعرفة بما يحتاج اليه ، وثقفت الشئ: حذفته ، اذا ظفرت به ، والثقافة ايضا ما تسويّ بها الرماح ، وتثقيفها : تسويتها[٥] .

(١)سورة المائدة : آية ٤٨ .
(٢)حسنين علي عبيد : *المجتمعات المتعددة* ، (بيروت : دار المنهل اللبناني ، ٢٠١٤) ، ص٣٣ .
(٣)المصدر نفسه ، ص٣٣ – ٣٤ .
(٤)سامي ذبيان : *قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية* ، (لندن : رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٠) ، ص١٣٨ – ١٣٩ .
(٥)محمد بن مكرم بن منظور : *لسان العرب* ، ج٩ ، (بيروت : دار صادر ، د.ت)، ص ١٩ .

وجاء في المعجم الوسيط: ثقف الرجل ثقفا: صار حاذقا فطنا ، وثقف العلم والصناعة : حذقهما ، وثقف الرجل الشئ : ظفر به وجاء فيه ايضا : ثقف فلان ثقافة : صار حذقا فطنا وثقف الشئ اقام المعوج منه وسواه ، وثقف الانسان : ادبه وهذبه وعلمه(١).

دور الثقافة اصطلاحا وبحسب (مالك بن نبي) الذي عرفها على انها : " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"(٢).

وبذلك فان الثقافة لا تنتقل بالوراثة ولكنها تكتسب اكتسابا عن طريق التربية والتعليم والتلقين والمعايشة"(٣). وبحسب (عامر حسن فياض) فان الثقافة هي : " تراكم ابداعي عبر مسيرة الحضارة الانسانية والمعرفة بشتى ابعادها"(٤).

والثقافة عند (ادوارد تايلور) هي: "الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقدرات والعادات كلها التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع"(٥).

وبعد محاولة تناول دلالة ومعنى مفردة (التنوع) ودلالة ومعنى مفردة (الثقافة) وصولا الى تشخيص دلالة ومعنى مصطلح (التنوع الثقافي)، وذلك من خلال الربط والدمج بين المعنيين المذكورين من الضرورة بمكان التاكيد على انه اذا كان التنوع ناتجا عن التمايز في الخلفيات، أو الثقافات او انماط وظروف الحياة ، او غير ذلك من جوانب الاختلاف والتمايز، فان هذا التنوع يجب ان يكون دافعا نحو التعارف والتواصل بين المجاميع البشرية المختلفة .. اذ ان الاهتمام بالتعارف بين الاقوام والامم والثقافات، انما ينبثق من ارضية الاحترام المتبادل لذلك فان القرآن الكريم يمهد للدعوة الى التعارف وذلك لاستكشاف ما لدى الاخرين من نقاط القوة وصفات الخير من هنا وجد التنوع للتعارف(٦).

على ذلك وبقدر تعلق الموضوع بالتنوع الثقافي في العراق ودوره في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة . لابد من الاشارة هنا الى ان العراق يشكل من الناحية الجغرافية وحدة طبيعية متكاملة ، وبحكم هذا الموقع الجغرافي وطبيعة اراضيه ، تميز العراق عبر التاريخ بمميزات اجتماعية اسبغت عليه صفة التعددية في المذاهب والديانات

(١)مجموعة مؤلفين : *المعجم الوسيط مادة ثقف* ، ط٢ ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٨.
(٢)مالك بن نبي : *مشكلة الثقافة* ، ط٢ ، (دمشق : دار الفكر ، ٢٠٠٥) ، ص٧٤ .
(٣)ابراهيم ابراش : *علم الاجتماع السياسي* ، (عمان : دار الشروق ، ١٩٩٨) ، ص٢٠٨ .
(٤)عامر حسن فياض : "البعد الثقافي للتنمية في العالم الثالث"، بحث *منشور في كتاب مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث ، بغداد : مطبعة دار الحكمة* ، (١٩٩٠) ، ص٨٩ .
(٥)نقلا عن ابراهيم ابراش : *المؤسسات والوقائع الاجتماعية* ، (الرباط : بلا ، ١٩٩٤) ، ص٣٠ .
(٦)حسن موسى الصفار : *التنوع والتعايش* ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٩ – ٦٠ .

والاتجاهات الفكرية ، وكانت وما زالت هذه التعددية مصدر غنى واثراء في الثقافة والبناء للمجتمع العراقي بشكل عام[١].

لذلك لم يكن غريبا عن البيئة الثقافية العراقية نشوء تيارات ثقافية متعددة ومختلفة في العصر الحديث ، فهذه البيئة كانت مصدرا ثرا لحركات فكرية وفلسفية واجتماعية وسياسية سعت دائما للبحث عن العدل والمساواة والحرية[٢].

على ذلك فان أي محاولة تتوخى تأصيل الهوية للمجتمع في العراق لابد لها ان تطرح التساؤل عن مدى نجاح جهود بناء الدولة او فشلها في بناء هوية وطنية واحدة لجميع العراقيين من مختلف التكوينات الاجتماعية ، اذ يعد هذا التساؤل غاية في الاهمية ، ذلك ان الاجابة عنه هي التي سوف تحدد مدى وحدة المجتمع في العراق من خلال التأكيد والتركيز على عوامل الوحدة على مستوى الاجتماع الثقافي وهنا ينبغي علينا تسليط الضوء على المشتركات الثقافية للمجتمع في العراق[٣].

وتبرز هنا مسألة المشاركة الثقافية للأمة العراقية والتي هي بمعنى احترام الاديان والمذاهب والشعائر واللغات والتلاوين الثقافية ، فبوجود طابع اللاتجانس الثقافي يعكس ديناميكية وقوة تلاحمية وسرا لتقدم الامة .. فهي تعطي طابعا متجددا وتكون عرضة للتفاعل مع كل ما متجدد في العالم والكون من ناحية التقدم (الاقتصادي – العلمي – التكنولوجي – الاجتماعي – السياسي) ، والتنوع الثقافي للامة العراقية ليكون اساسا لتقدمها دون عرقلتها واقتصارها على ثقافة محددة ومؤدلجة لجهة معينة.

تجدر الاشارة هنا الى انه وفي معرض تناوله لمخاطر عدم استثمار التنوع الديني والاثني على مستقبل الاقتصاد العراقي يشير (سعد سلوم) الى ما يلي نصه : "ان نهاية التنوع في العراق تعني بالنسبة لي نهاية العراق كفكرة ووجود ، النفط لايمثل هوية البلاد الحضارية ، بخلاف النهرين الخالدين : دجلة والفرات ، والتنوع الذي يمثل ميراثا حضاريا مشتركا لكافة الجماعات العراقية "[٤].

على ذلك فأنه وبقدر ما يمثله التنوع الثقافي في العراق بوصفه سمة متأصلة بوجوده وتاريخيه بمختلف مراحله وعصوره ، فانه كان ومازال مصدر اثراء وغنى ثقافي وحضاري

(١)فراس البياتي : *التحول الديمقراطي في العراق بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣* ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١٣) ، ص٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢)عبد العظيم جبر حافظ : *التحول الديمقراطي في العراق الواقع والمستقبل* ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٢٢) ، ص٢٢٤ .

(٣)نخبة من الباحثين : *المواطنة والهوية الوطنية* ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٨) ، ص٤٢ .

(٤)نقلا عن وضاح فاضل العنبكي ، احمد عدنان الميالي : *اشكاليات الهوية وبناء الدولة والمجتمع عند فالح عبد الجبار* ، (بيروت ، النجف الاشرف : مركز الرافدين للحوار ، ٢٠٢١) ، ص١٨٦.

ومدني وفكري ومعرفي كبير اسهم وبشكل اساسي في صياغة وتشكيل الوحدة المجتمعية في العراق بوصفها وحدة شاخصة على مستوى الاجتماع الثقافي ، وبذلك يعد التنوع الثقافي في العراق مرتكزا ومحورا اساسيا في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

اذ لا يمكن وبأي حال من الاحوال البحث في موضوع هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة ، دون الارتكاز على محور التنوع الثقافي للمجتمع العراقي ودوره في بناء وتشكيل هذه الهوية .

المطلب الثاني

دور مبدأ التسامح في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة

يعد مبدأ التسامح من بين المبادئ الاساسية التي اسهمت وبشكل محوري واساسي في بناء المجتمعات والدول المختلفة ، وذلك بلحاظ ان هذه المجتمعات والدول لم تتمكن من صياغة وبلورة رؤيتها حول مسألة العيش المشترك القائم على الاحترام المتبادل والحوار الا من خلال ارتكازها على مبدأ التسامح بوصفه قيمة عليا تؤطر كل حيثيات ومتطلبات بناء المجتمع وبالتالي بناء الدولة .

يشغل مبدأ التسامح مساحة واسعة في الدراسات الانسانية بشكل عام ، الفلسفية منها والفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية .. الخ . لما لهذا المبدأ من اهمية كبيرة واستثنائية ترتبط بمجالات وجوانب مختلفة من حياة الفرد والمجتمع والعلاقات الانسانية المتبادلة بشكل عام وذلك باختلاف الزمان والمكان .

من هنا فان مسالة تحديد مفهوم التسامح هي ضرورة منهجية وعلمية لبيان دلالته اللغوية والاصطلاحية وذلك قبل الولوج في بحث دور مبدا التسامح في تشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

التسامح لغة: يشير لسان العرب الى الفعل (سمح) ومن مشتقاته السخاء والمساهلة ، ويقال : سمح واسمح اذا جار واعطى عن كرم وسخاء ، والمسامحة المساهلة ، وتسامحوا وتساهلوا[١].

و (سمح) – سماحاً وسماحة : بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء ، و (سَمّحَ) سَماحةً وسَمّوحةً ؛ لان وسهل فهو سمحٌ وسميحٌ ، و (سامَحَهُ) : عفا عنه ، ويقال

في الدعاء : سامحك الله ، ويقال : سامحه بذنبه[٢] .

(١)ابن منظور : *لسان العرب ، مادة سمح* ، مج٩ ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥٥ – ٣٥٦ .
(٢)مجموعة باحثين : *المعجم الوجيز* ، (القاهرة : وزارة التربية والتعليم المصرية ، ١٩٩٤) ، ص٢١٠ .

ولم ترد مفردة (التسامح) في القرآن الكريم بشكل مباشر وانما الذي ورد هو ما يعبر عن هذه المفردة ، وذلك من خلال ثلاثة مصطلحات هي: (العفو والصفح، والمغفرة) ، ويتبين ذلك من خلال قوله تعالى : " وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " (١).

وقوله تعالى : " وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٢).

وقوله تعالى: "وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"(٣).

وقوله تعالى : " وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى " (٤).

وقوله تعالى: " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْفَواحِشَ وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ"(٥).

وفي لحديث الشريف للنبي الاكرم محمد بن عبد الله (ص) ورد معنى التسامح من خلال دعوته للمتسامحين بان يرحمهم الله ، فعن جابر بن عبد الله قال رسول الله (ص) : " رحم الله رجلا سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا قضى"(٦).

وعن ابي كبش العمري ان رسول الله (ص) قال : " لايعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله عز وجل زاده عزا يوم القيامة "(٧).

ومفردة التسامح مشتقة من الكلمة اللاتينية (Tolere) أي يعاني او يقاسي ، وفي اللغة الانكليزية هناك معنيين لمفردة التسامح الاول (Tolerence) (ويعني استعداد المرء لتحمل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عن ما يعتق به) والثاني (Toleration) (وتعني

(١)سورة الشورى : آية ٤٠ .
(٢)سورة البقرة : اية ١٠٩ .
(٣)سورة الحجر : آية ٨٥ .
(٤)سورة البقرة : آية ٢٣٧ .
(٥)سورة الشورى : آية ٣٧ .
(٦)ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجحفي : *صحيح البخاري* ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، (بيروت : دار بن كثير ودار اليمامة ، ١٩٨٧) ، ص٢٣٤.
(٧)الشيخ الطوسي: *تهذيب الاحكام* ، ط٤ ، (بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠٦ هـ) ، ص٣٠٤.

سياسة السماح بوجود كل الآراء الدينية واشكال العبادة المناقضة او المختلفة مع المعتقد السائد) [١].

التسامح اصطلاحا :

على الرغم من الدراسات والبحوث المتعددة والمتزايدة التي عنيت بدراسة موضوع (التسامح) ، بوصفه من المواضيع المحورية والاساسية التي تنطلق منها المجتمعات والدول لتتجاوز من خلاله كل افرازات وتداعيات التعصب والكراهية والتطرف والعنف بشتى انواعه وصوره وذلك في كل زمان ومكان، الا انه لا يوجد تعريف متفق عليه من قبل الباحثين والمفكرين لمصطلح التسامح ، اذ ما زالت هناك بعض القضايا الخلافية المتعلقة بتعريف التسامح ، فاتفاق الباحثين حول ما لا يعد تسامحا لا يعني بالضرورة انهم يتفقون حول ماهية التسامح[٢]. وهذا لم يمنع بعض الباحثين من محاولة تعريف (التسامح) وتحديد دلالاته وابعاده المختلفة سواء على المستوى الفلسفي ام الفكري ام الاجتماعي ام السياسي ام الثقافي .

وفي هذا اللحاظ يشير (محمد محفوظ) الى : " ان التسامح فضيلة اخلاقية وضرورة سياسية ومجتمعية ، وسبيل لضبط الاختلافات وادارتها "[٣].

بينما يعرف بعض الباحثين التسامح بانه : " تغير شخصي – اجتماعي ايجابي يحدث للفرد تجاه الاساءة المدركة يتناسب مع السياق الشخصي النوعي الذي حدثت فيه الاساءة "[٤].

"[٤].

بينما ذهب (خالد قطب) في تعريفه للتسامح الى : " ان التسامح كقيمة اخلاقية وحضارية وثقافية رفيعة تعد المدخل الرئيسي لتقدم المجتمعات ، بل يمكن القول ان التسامح هو القيمة التي تجعل الحياة ممكنة "[٥]. وفي السياق نفسه يشير (ماجد الغرباوي) الى ان التسامح يراد به : " موقفا ايجابيا متفهما من العقائد والافكار ، يسمح بتعايش الرؤى

(١)هويدا علي رومات : *التسامح السياسي – المقومات الثقافية للمجتمع المدني* ، (القاهرة : بلا ، ٢٠٠٠) ، ص١٠١ .

(٢)ميشيل إ .مالكو ، كينث آ . بارجمنت ، كارل اثورسين : *التسامح النظرية والبحث والممارسة* ، ترجمة عبير محمد انور ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥) ، ص٤١ .

(٣)محمد محفوظ : *التسامح وقضايا العيش المشترك* ، ط٢ ، (بيروت : المركز الاسلامي الثقافي ، ٢٠١٢) ، ص١١ .

(٤)ميشيل إ . مالكو : مصدر سبق ذكره ، ص٤٤ .

(٥)مجموعة باحثين : *التنوير والتسامح وتجديد الفكر العربي* ، (قرطاج : المجمع التونسي للعلوم والآداب ، ٢٠٠٧) ، ص ١٣ .

والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والاقصاء، على اساس شرعية الآخر المختلفة دينيا وسياسيا وحرية التعبير عن آرائه المختلفة"[١].

وعند (عبد الحسين شعبان) فان التسامح: "هو فكرة اخلاقية ذات بعد سياسي وفكري ازاء المعتقدات والافعال والممارسات ، ونقيض فكرة التسامح هو اللاتسامح، أي التعصب والعنف ومحاولة فرض الراي ولو بالقوة "[٢]. من هنا لا يجوز ان ينظر الى اختلاف الجماعات البشرية في اعراقها والوانها ومعتقداتها ولغاتها على انها تمثل حائلا يعوق التقارب والتسامح ولتعايش الايجابي[٣]، لاسيما في العراق مهبط الديانات المختلفة والمتنوعة ، حيث شكل هذا التنوع علامات بارزة على طبيعة حضارة هذا البلد واحترامه للإنسان .. اذ ان فكرة التسامح تبرز اهميتها هنا في توجهها الحقيقي نحو الاقليات ، وان اهميتها تكمن في كونها توفر اجواء انسانية للمجموعات قليلة العدد ، والتي تختلف بالانتماء الديني والمذهبي والعرقي والتي هي لقلة عددها بحاجة لحماية اكبر ، وبالتالي فان التسامح يوفر لها اجواء انسانية للاستمرار بفعالية ايجابية ضمن المجتمع ، والتعايش مع مكوناته الاخرى[٤] .

على ذلك فان المجتمع بكل شرائحه وفئاته يتحمل مسؤولية كبرى تجاه توطيد حقائق التسامح في المحبط الاجتماعي، وذلك لأن سيادة القيم المناقضة للتسامح تهدد استقرار المجتمع ووحدته وكل مكاسبه التاريخية والراهنة ، وان توطيد حقائق التسامح في المحيط الاجتماعي هو في واقع الامر دفاع عن راهن المجتمع ومستقبله .. وعليه فان السعي الى الوحدة ، يقتضي ارساء معالم التسامح والقبول بالآخر وجودا ورأيا ، وان التسامح كحقيقة اجتماعية لا يمكن ان تتجسد بدون تطوير الثقافة المجتمعية التي تحتضن كل معالم وحقائق هذه القيمة .. فالتسامح الاجتماعي لا ينمو ويتجذر الا في بيئة تقبل التعدد والتنوع والاختلاف وتمارس الانفتاح الفكري والمعرفي[٥].

من هنا فان التسامح ثقافة لأنه يتأسس على شكل من التنوير ، يسود فيه الاتفاق والحوار والوعي بأهمية التفاهم بين الافراد[٦]، حيث ان مشروع نشر (ثقافة التسامح) والعيش

---

(١)ماجد الغرباوي : *التسامح ومنابع اللاتسامح، فرص التعايش بين الاديان والثقافات* ، (بغداد : مركز دراسات فلسفة الدين ، ٢٠٠٦) ، ص١٧ .

(٢)عبد الحسين شعبان : *فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي* ، (بيروت : دار النهار للنشر ، ٢٠٠٥) ، ص٥٥ .

(٣)محمود حمدي زقزوق : *التسامح في الحضارة الاسلامية* ، وقائع المؤتمر السادس عشر للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، (القاهرة : وزارة الاوقاف ، ٢٠٠٤) ، ص ٥٠ .

(٤)مجموعة باحثين: *التسامح واللاتسامح الديني ، العراق انموذجا* ، (بغداد : دار ميزو تاميا للنشر والتوزيع ، ٢٠١٩) ، ص٤٢-٤٣ .

(٥)محمد محفوظ : *التسامح وقضايا العيش المشترك* ، ط٢ ، (بيروت : المركز الاسلامي الثقافي ، ٢٠١٢) ، ص١٦ – ١٨ – ١٩ .

(٦)مجموعة باحثين : *التنوير والتسامح* ، مصدر سابق ، ص٤٢١ .

والعيش المشترك في مجتمعنا هو الامكانية الوحيدة التي تمكننا من ضبط اختلافاتنا وتباياناتنا الداخلية بكل تشعباتها وعناوينها الدينية والمذهبية والعرقية والطائفية والاجتماعية والسياسية والفكرية (الثقافية)[١]. وبهذا يوفر التسامح مجالا مفتوحا لصياغة الهوية – مما يعني الايمان بالهوية المنفتحة[٢]. التي تستوعب كل ذلك التنوع الثقافي الموجود في العراق منذ فجر التاريخ ولغاية اليوم ، وهو الامر الذي يعكس الدور المناط باعتماد مبدأ التسامح بوصفه من مرتكزات بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

ان محاولة الباحث دراسة وبحث موضوع (المقومات الفكرية لبناء هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة) هي محاولة تأتي في سياق ابراز أهم تلك المقومات والمعطيات الفكرية والثقافية وأثرها في تشكيل هذه الهوية، إذ انه من المفيد الإشارة هنا الى الاسهامات المهمة والكبيرة التي طرحت في العراق في هذا الجانب.

وهنا من الضرورة بمكان الإشارة الى ما ورد في ديباجة دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، حول تلك المقومات والمعطيات المذكورة حيث جاء في هذه الديباجة ما يلي نصه: ((نحن أبناء وادي الرافدين، موطن الرسل والانبياء، ومثوى الأئمة الاطهار ومهد الحضارة، وصناع الكتابة، ورواد الزراعة، ووضاع الترقيم، على ارضنا سن أول قانون وضعه الانسان، وفي وطننا خط أعرق عهد عادل لسياسة الأوطان وفوق ترابنا صلى الصحابة والأولياء، ونضّر الفلاسفة والعلماء، وأبدع الأنبياء والشعراء)) [٣].

وفي السياق نفسه فان إسهامه سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في مسألة حفظ وحماية هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة كانت ومازالت إسهامه محورية ومفصلية وكبيرة وبالغة الدلالة والاثر، ففي معرض اجابته عن سؤال وجهته لسماحته صحيفة (الواشنطن بوست) مفاده: ((ما هو أكبر خطر وتهديد لمستقبل العراق؟)) أجاب سماحة السيد السيستاني بما نصه: ((خطر طمس هويته الثقافية التي من أهم ركائزها هو الدين الإسلامي الحنيف)) [٤]. وفي سؤال وجهته لسماحته مجلة (بولندا) الأسبوعية مفاده ((ما هو الخطر الأكبر الآن على بلدكم في حال وجوده؟)) أجاب سماحته بما يلي نصه: ((خطر محو ثقافته الدينية الوطنية))[٥].

---

(١)محمد محفوظ : *التسامح وقضايا العيش لمشترك* ، مصدر سابق ، ص٧ .

(٢)عامر عبد زيد : *من اجل اخلاقيات التسامح في ظل ثقافة اللاعنف* ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠١٠) ، ص٦٠ – ٦١ .

(٣)*دستور جمهورية العراق لسنة* ٢٠٠٥ : اعداد صباح صادق جعفر الانباري، (بغداد: المكتبة القانونية، د.ت)، ص٦ .

(٤) حامد الخفاف: *النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية*، ط٢، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠١٠)، ص٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٩.

الخاتمة

تعد الدراسات والبحوث التي تعنى ببحث ودراسة موضوع هوية الدولة من الاهمية بمكان على مستوى الدراسات في الفكر السياسي ، ذلك ان مثل هذه الدراسات والبحوث تعطي تصورا علميا واضحا حول المقومات والمعطيات الفكرية التي من شأنها ان تسهم في عملية بناء وتشكيل الهوية لهذه الدولة ام تلك .

من هنا جاءت محاولة الباحث في بحث ودراسة هذا الموضوع من خلال محاولة تشخيص ابرز تلك المقومات والمعطيات الفكرية التي تسهم في بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، حيث خلص البحث الى ان هناك مقومات ومعطيات فكرية عميقة وكبيرة لها الدور والاثر الواضح والكبير في عملية بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة، تمثلت بالإرث الحضاري الكبير الذي يمتلكه العراق متمثلا بحضارة وادي الرافدين على مستوى تاريخ العراق القديم ، وما افرزته وطرحته من اسهامات ومعطيات ثقافية وفكرية وعلمية وحضارية ومدنية كبيرة، كان وما زال لها الاثر الواضح والكبير في تطور الحضارة الانسانية بشكل عام ، فضلا عن الدور الكبير للشريعة الاسلامية السمحاء وما افرزته وطرحته من طروحات واسهامات فكرية وثقافية وعلمية وانسانية واخلاقية ومعرفية كبيرة في جوانب واصعدة مختلفة، الفكري منها والثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمعرفي والتي اسهمت بدورها في اثراء وتطور الحضارة الانسانية بشكل عام ، كما شكل التنوع الثقافي في العراق بدوره مصدر غنى واثراء كبير في تشكيل هوية متميزة للدولة الراقية الحديثة والمعاصرة، من خلال اعتماد مبدا التسامح بوصفه قيمة عليا وركيزة اساسية لحفظ هذا التنوع الثقافي وديمومته واستمراره ، بوصفه سمة ملازمة للعراق فكرا ووجودا .

على ذلك فقد خلص البحث الى عدد من الاستنتاجات والتوصيات وهي كما يلي:

١ – ان الدراسات والبحوث التي تعنى ببحث ودراسة موضوع هوية الدولة من الاهمية بمكان ، بحيث انها تعطي تصورا علميا واضحا حول المقومات والمعطيات التي تتشكل بموجبها هوية الدولة .

٢ – هناك مقومات ومعطيات فكرية تسهم وبشكل محوري واساسي في بناء وتشكيل هوية الدولة العرقية الحديثة والمعاصرة تتمثل بالإرث الحضاري الكبير الذي يمتلكه العراق ، ودور الدين الإسلامي، والتنوع الثقافي الذي يتميز به العراق منذ وجوده ولغاية اليوم، واعتماد مبدا التسامح بوصفه قيمة عليا يحفظ هذا التنوع ودوره في بناء وتشكيل هذه الهوية .

٣ – ان الارث الحضاري الذي يمتلكه العراق وما افرزه من اسهامات كبيرة ورائدة على مستوى تطور الحضارة الانسانية بشكل عام ، ودور الدين الاسلامي وما افرزه من طروحات

واسهامات في جوانب واصعدة مختلفة اسهمت وبشكل محوري في تطور الحضارة الانسانية ، والتنوع الثقافي الذي يتميز به العراق منذ وجوده ولغاية اليوم واعتماد مبدا التسامح بوصفه قيمة عليا لهذا التنوع ، كل ذلك يسهم وبشكل محوري واساسي في بناء وتشكيل هوية متينة وعميقة وراسخة للدولة العراقية الحديثة والمعاصرة .

٤ – هناك تواصل ومد حضاري يتميز به العراق منذ فجر التاريخ ولغاية اليوم، اذ ان المتتبع لتاريخ العراق بشكل عام يلاحظ ان هذا التواصل والمد الحضاري وعبر تاريخ العراق القديم والوسيط والحديث والمعاصر، قد شكل تراكما ثقافيا وفكريا ومعرفيا ثرا وغنيا وعميقا وكبيرا على مستويات واصعدة مختلفة .

ولاشك ان مثل هذا التراكم الثقافي والفكري والمعرفي ينعكس وبشكل كبير على عملية بناء وتشكيل هوية الدولة العراقية الحديثة والمعاصرة . لذلك لايمكن وبأي حال من الاحوال فصل هذا التراكم الحضاري عن عملية بناء وتشكيل هذه الهوية .

التوصيات

١ – ان موضوع هوية الدولة العراقية من الاهمية بمكان بحيث انه يتطلب دراسات وبحوث متخصصة ومستفيضة وواسعة ، لذلك فان الباحث يدعو المهتمين والباحثين الى الكتابة في هذا الموضوع وتناوله من جوانب مختلفة السياسي منها والقانوني والاجتماعي والثقافي .. الخ.

٢ – ان السلطات الرسمية في الدولة العراقية المعاصرة من الضرورة بمكان ان تتخذ ما يلزم من تشريعات واجراءات من شانها ابراز هوية الدولة العراقية لاسيما على مستوى المناهج الدراسية بمختلف مراحلها ومستوياتها .

٣ – ان الباحث يوصي بتضمين المواد الدراسية ذات العلاقة على مستوى المدارس موضوع التسامح ، وكذلك تضمين مفردة التسامح ضمن مفردات مادة حقوق الانسان والديمقراطية على مستوى الجامعات والمعاهد العراقية .

قائمة المصادر

اولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المعاجم

١- ابن منظور : لسان العرب ، مج٤ ، (بيروت : دار صادر ، د. ت).

٢- لويس معلوف : المنجد في اللغة والاعلام ، ط٢٦ ، (بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦) .

٣- مجموعة باحثين : المعجم الوسيط ، مادة حضر ، ط٢ ، (تركيا : دار الدعوة ، ١٩٨٩) .

٤- مجموعة باحثين: المعجم الوجيز، (القاهرة : وزارة التربية والتعليم المصرية، ١٩٩٤).

ثالثاً: الكتب

١- ابراهيم ابراش : المؤسسات والوقائع الاجتماعية ، (الرباط : بلا ، ١٩٩٤).

٢- ابراهيم ابراش: علم الاجتماع السياسي ، (عمان : دار الشروق ، ١٩٩٨).

٣- ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجحفي : صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا، (بيروت : دار بن كثير ودار اليمامة ، ١٩٨٧) .

٤- ابي جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٢ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥) .

٥- احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٧ ، ط٥ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٢) .

٦- البرت اشفاينرز : فلسفة الحضارة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، زكي نجيب محمود ، (مصر : وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية المؤسسه العامه للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣) .

٧- جان فرانسوا نودينو : ٢١ دولة لأمة عربية واحدة ، ترجمة خليل احمد خليل ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣) .

٨- جعفر الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، ج٧ ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٩٨٧) .

٩- جليلة المليح الواكدي : مفهوم الهوية – مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة – في الانثرولوجيا وفي علم الاجتماع ، (لامكان : مركز النشر الجامعي ، ٢٠١٠) .

١٠- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، (قم : منشورات ذوي القربى ، ١٣٨٥ فارسي) .

١١- دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ : اعداد صباح صادق جعفر الانباري، (بغداد: المكتبة القانونية، د.ت)

١٢- حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، ط٢، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠١٠).

١٣- حسن عز الدين بحر العلوم : التعددية الدينية في الفكر الاسلامي، (بيروت: العارف للمطبوعات ، ٢٠١١) .

١٤- حسن موسى الصفار : التنوع والتعايش ، (بيروت : دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٨) .

١٥- حسين علي عبيد : المجتمعات المتعددة ، (بيروت: دار المنهل اللبناني ، ٢٠١٤) .

١٦- دوايت م . دونلد . س : عقيدة الشيعة ، تعريب ع . م ، (مصر : مكتبة الخانجي ومطبعتها ، د. ت) .

١٧- ديوان ابن الرومي : تحقيق حسين نصار ، ج٢ ، ط٣ ، (القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٣) .

١٨- س . ن . كريمر : هنا بدأ التاريخ ، حول الاصالة في حضارة وادي الرافدين، الموسوعة الصغيرة ٧٧ ، ترجمة وتلخيص ناجية المراني ، (لامكان: د . ت) .

١٩- سامي ذبيان : قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، (لندن : رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٠) .

٢٠- سهيل قاشا : عراق الاوائل حضارة وادي الرافدين من ٥٠٠٠ – ٥٠٠ قبل الميلاد ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١٠) .

٢١- الشيخ الطوسي: تهذيب الاحكام ، ط٤، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٦هـ) .

٢٢- صاموئيل هنتجتون : صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي ، ترجمة مالك ابو شهوه ومحمود خلف، (ليبيا : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، د. ت).

٢٣- عامر حسن فياض : البعد الثقافي للتنمية في العالم الثالث ، بحث منشور في كتاب مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث ، (بغداد : مطبعة دار الحكمة ، ١٩٩٠) .

٢٤- عامر عبد زيد : من اجل اخلاقيات التسامح في ظل ثقافة اللاعنف ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠١٠) .

٢٥- عبد الحسين شعبان : فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي ، (بيروت : دار النهار للنشر ، ٢٠٠٥) .

٢٦- عبد العظيم جبر حافظ : التحول الديمقراطي في العراق الواقع والمستقبل ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٢٢) .

٢٧- عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، ج٢ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠١) .

٢٨- علي شريعتي : الحضارة ، دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ١٩٧٨) .

٢٩- غانم محمد صالح : الفكر السياسي القديم والوسيط ، (بغداد : مكتبة السنهوري ، دت) .

٣٠- فتحي التريكي : الهوية ورهاناتها ، ترجمة نور الدين الساقي ، (تونس : الدار المتوسطة للنشر ، ٢٠١٠) .

٣١- فراس البياتي : التحول الديمقراطي في العراق بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣ ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١٣) .

٣٢- ماجد الغرباوي : التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الاديان والثقافات ، (بغداد : مركز دراسات فلسفة الدين ، ٢٠٠٦) .

٣٣- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ط٢ ، (دمشق : دار الفكر ، ٢٠٠٥) .

٣٤- مجموعة باحثين : التنوير والتسامح وتجديد الفكر العربي ، (قرطاج : المجمع التونسي للعلوم والاداب ، ٢٠٠٧) .

٣٥- مجموعة باحثين : التسامح واللاتسامح الديني ، العراق انموذجا ، (بغداد : دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع ، ٢٠١٩) .

٣٦- مجموعة باحثين : هويتي – دراسة في ملامح الهوية الاسلامية ، (الكويت : دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥) .

٣٧- مجموعة مؤلفين : حضارة وادي الرافدين سومر – اشور – بابل – سبعة الاف سنة من الفن والحضارة ، ترجمة قاسم مطر التميمي ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠١٠) .

٣٨- محمد جعفر الحكيم : تاريخ وتطور الفقه والاصول في حوزة النجف الاشرف العلمية ، ط٢ ، (بيروت : المؤسسة الدولية ، ٢٠٠٢) .

٣٩- حمد عمارة : الاسلام وحقوق الانسان ، ضرورات لا حقوق ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، د. ت) .

٤٠- محمد محفوظ : التسامح وقضايا العيش المشترك ، ط٢ ، (بيروت : المركز الاسلامي الثقافي ، ٢٠١٢) .

٤١- محمود حمدي زقزوق : التسامح في الحضارة الاسلامية ، وقائع المؤتمر السادس عشر للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، (القاهرة : وزارة الاوقاف ، ٢٠٠٤) .

٤٢- ميشيل إمالكو ، كينث . آ. بارجمنت ، كارل إ. ثورسين: التسامح النظرية والبحث والممارسة ، ترجمة : عبير محمد انور ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥) .

٤٣- نخبة من الباحثين : المواطنة والهوية الوطنية ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٨) .

٤٤- هويدا علي رومات : التسامح السياسي – المقومات الثقافية للمجتمع المدني ، (القاهرة : بلا ، ٢٠٠٠) .

٤٥- وضاح فاضل العنبكي ، احمد عدنان الميالي : اشكاليات الهوية وبناء الدولة والمجتمع عند فالح عبد الجبار، (بيروت، النجف الاشرف : مركز الرافدين للحوار ، ٢٠٢١) .

٤٦- اليكسي ميكشيللي : الهوية ، ترجمة علي وطفة ، (دمشق : دار الوسيم ، ١٩٩٣) .

رابعاً: البحوث

١- حسن بن موسى الصفار : التعددية والحرية في الاسلام ، بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب ، ط٤ ، (بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ٢٠١٠).

٢- علي حسين الجابري : البعد الاخلاقي في فلسفة احيفار الاشوري القرن ٧ – ٦ ق. م ، بحث منشور في كتاب الفلسفة العراقية من البواكير الى الحاضر ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠١٠).